المد الشيعي في بلاد المغرب
وردّ فعل البربر: 297هـ إلى 362هـ

أة. عائشة تازي*

أولا: الشيعة وأهم فرقها: وردت عدة آيات في القرآن الكريم وكذا أحاديث نبوية تنبئ بافتراق المسلمين إلى مجموعة فرق، لقوله تعالى: ﴿من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾[1] كما وردت في كتب الصحاح أحاديث عن افتراق الأمة إلى مجموعة فرق، ففي رواية أبو داود بإسناد حسن عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنّهُ قال: «إفْتَرَقَتِ اليَهودُ على إحْدى أو إثْنَتَيْنِ وسَبْعين فِرْقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[2]. وقد عددت كتب الفرق الإسلامية تلك الفرق بثلاث وسبعين فرقة[3]. صنفها الشهرستاني في أربع فرق أساسية: "القدرية والصفاتية والخوارج والشيعة"[4].

وتعتبر الشيعة من أكبر تلك الفرق الإسلامية، حيث برزت في التاريخ بنشاطها المكثف والمناوئ دوما للسلطة القائمة، سواء في العهد الأموي أو العهد العباسي، بحجة أنهم الأحق بالخلافة لأنهم من آل البيت.

وبدأ الشيعة نشاطهم في بداية الأمر كفرقة واحد ثم انقسموا إلى عدة فرق، تجتمع كلها على أحقية علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) في الخلافة بعد الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ولكنها تختلف في ترتيب الأئمة من بعده، فمنهم الشيعة وما هي أهم فرقهم؟

1- تعريف الشيعة:

أ- لغة: قال إسماعيل بن حماد الجوهري: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، يقال شايعه ويقال والاه من الولي[5]. وقال الزبيدي، كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة وكل من عاون إنسان وتحزب له فهو شيعة له وأصله من المشايعة والمطاوعة والمتابعة[6].

*- أستاذة مساعدة أ في التاريخ الإسلامي- قسم العلوم الإنسانية- شعبة التاريخ- جامعة الشلف.

وجاء في لسان العرب الشيعة أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع وأشياع، واصل الشيعة الفرقة من الناس وتقع على الواحد والاثنين والجمع...، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهله[7].

ب- الشيعة في القرآن[8]: جاء هذا اللفظ في عدة مواقع من القران الكريم وعلى عدة معاني واشتقاقات نذكر منها:

- "فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه"[9] وتعني الآية الأصحاب والأنصار وأصحاب الملة الواحدة والدين والمنهج .

وقوله تعالى: "ثم لننزعن من كل شيعة أيهم على الرحمن عتيا"[10]، وقوله تعالى أيضا: "ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين"[11]، وهتين الآيتين تعنيان الفرقة والطائفة المتعاونة فيما بينها .

أما قوله تعالى: "ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مذكر"[12]، وكذا قوله تعالى: "وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل"[13]، تعني الأشباه والنظائر والأمثال في الكفر والتكذيب.

ج-الشيعة في السنة: ورد لفظ الشيعة في السنة في عدة أحاديث مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم نذكر منها: حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته... وهم شيعة الدجال"[14]، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في قصة ذي الخويصرة التميمي الذي زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعدل فقال عن دعوته: "فإنه سيكون أمة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية"[15]، وغيرها من الأحاديث التي يدور معناها حول المتابعة والمناصرة والتحزب حول المذهب والملة أو حول رجل معين يتخذ كإمام يتبعه الأفراد في الأمر والنهي والنصرة. وعلى كل حال فالمدلول اللغوي موافق للمدلول الشرعي (الكتاب والسنة).

د- الشيعة في الاصطلاح: تكاد المصادر المتخصصة في الفرق تجمع على تعريف واحد للشيعة، فأبو الحسن الأشعري يعرف الشيعة بـــقوله: إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضي الله عنه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[16].

وقال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده[17].

والمتفق عليه أن مصطلح الشيعة معروف في التاريخ، أطلق على أتباع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، حيث يقول ابن خلدون: "إعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من خلف وسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم"[18].

النشاط السياسي للشيعة: منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أصبح آل البيت يرون أنهم الأحق بالخلافة دون غيرهم من رجال قريش، وتمسكوا بذلك الحق على أساس أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أوصى في مرضه لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حسب زعمهم، وظهرت حركتهم بشكل جلي في عهد عثمان (رضي الله عنه)، وكثر أتباعهم بعد وفاة علي بن أبي طالب، عندما نودي بمعاوية بن أبي سفيان[19] خليفة على المسلمين[20]. وبعد أن تنازل له الحسن بن علي[21](رضي الله عنه) عن الخلافة على شرط أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسين[22].

بعد مقتل علي بن أبي طالب، وتولي معاوية بن أبي سفيان أمر المسلمين بتنازل من الحسن، ظل أهل العراق، وخاصة الكوفة، شيعية النزعة، وتفرقت الشيعة إلى فرق متعددة متباينة العقائد، بعضها التزم العقيدة والاعتدال، وبعضها الأخر جنح إلى الغلو، حتى أن بعضها نادى بألوهية علي بن أبي طالب[23].

وبعضهم ذهب إلى أن محمد بن الحنفية حيي لم يمت[24]،كما انضم إلى حركة التشيع كثير من الموالي وخاصة الفرس، فكانت فارس[25] وبخاصة خراسان أميل إلى التشيع كالعراق[26]، وبعد أن توحد الأمر لمعاوية بن أبي سفيان، عمل على أخذ البيعة لابنه يزيد من أهل البصرة والكوفة وقصد المدينة المنورة وهددها فبايعه الناس[27].

ولما توفى معاوية خرج الحسين بن أبي طالب[28] إلى مكة بعد أن أتاه كتاب أهل كوفة للبيعة، فدعوه إلى الخروج على يزيد[29]؛ فكانت واقعة كربلاء سنة61هـ/682م حيث قتل الحسين[30].

وكانت لتلك الواقعة أثرها البالغ في وسط الشيعة، فبعد مقتل الحسين بن علي لم يعد الشيعة إلى الجهر بحقوقهم مثلما كانوا عليه في عهدهم الأول. كما أنهم اختلفوا حول الإمام

الذي يولونه بعد الحسين إذ يقول ابن خلدون: "وفشا التعصب لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق، واختلفت مذاهب الشيعة في من هو أحق بالأمر من أهل البيت، وبايعت كل طائفة لصاحبها سرا، ورسخ الملك لبني أمية"[31].

لقد واجه العلويون أزمات ومصاعب جمة أمام الخلافة، سواء الأموية أو العباسية. وقد وقف الأمويون من العلويين وقفة لا رحمة فيها فثارت ضغائن الحقد لهم، وهم ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ورأى الناس فيهم شهداء الظلم. فاتسع نطاق المذهب الشيعي، وكثر أنصاره[32]، واستغل العباسيون الموقف، وحاولوا ضمهم إلى صفوفهم في دعوتهم إلى آل البيت، ولما بدأ الملك يستقر للعباسيين غضب العلويون، ووقفوا في صف معارض لهم، وشعر العباسيون بأنهم حديثي عهد بالدولة، وأنهم بحاجة إلى الشدة والقسوة لدعم ملكهم، فقسوا على العلويين بأكثر مما قسا الأمويين، وكانوا أقدر على تتبعهم[33]، مما اضطر العلويين إلى العمل في السر والابتعاد عن أعين السلطة باتباع مبدأ "التقية" والتدبير المحكم- على المدى الطويل- لاسترجاع حقهم المغصوب في الخلافة[34]- حسب اعتقادهم-.

والذي ينبغي الإشارة إليه كون الشيعة افترقت إلى خمس فرق رئيسية: كيسانية، زيدية، وإمامية وغلاة وإسماعيلية. وهذه أهم فرق الشيعة وأكثرها عددا[35]، وقد اشتركت فرق الشيعة رغم تعددها في مبادئ أساسية أهمها:

- الإمامة: وهي قوام هذا المذهب، يذكر ابن خلدون نظرية الإمامة عند الشيعة فيقول: "إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم فيها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله وتفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر"[36].

- والثابت عندهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نصّ على أن الذي يتولى الأمر بعده هو علي بن أبي طالب[37]، ويلمح الدارس في تاريخ الشيعة طورين أساسيين:

الطور الأول، كان زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل الفتنة، إذ لم يكن للشيعة يومها نفوذ سياسي، أو مبدأ مذهبي، بل كانت الفرقة بمنزلة الجماعة المؤيدة لعلي وأنه أولى الناس بالخلافة. أما الطور الثاني فهو طور العمل السياسي الذي نما فيه الشيعة وبرزوا في ساحة الأحداث بآرائهم السياسية[38]، ومن بين هذه الفرق: الشيعة الإسماعيلية. فمن هي فرقة الـ الإسماعيلية؟

1- تعريف الإسماعيلية: جاء في موسوعة أعيان الشيعة[39]، أن الإسماعيلية: "هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق"[40]، ويقول الشهرستاني: "الإسماعيلية قالوا إن الإمام بعد جعفر: إسماعيل، نصا عليه باتفاق من أولاده"[41]. كما يذهب الإسماعيلي المعاصر، عارف تامر إلى القول إنه: "من المعلوم أن الإسماعيلية تنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر، ومن هنا جاء الاسم إلا أن بعض علماء الإسماعيلية ذهبوا إلى القول أن اسم الإسماعيلية قديم، وأنه جاء منذ عصر إسماعيل بن إبراهيم الخليل، لكن هذا الرأي لا تؤيده المصادر التاريخية"[42].

والمتتبع لتسلسل أئمة الشيعة الإمامية يلاحظ أن الإسماعيلية افترقت عن الإثنا عشرية[43] منذ وفاة جعفر الصادق؛ فحسب عارف تامر أن هذا الانشقاق ظهر بعد الإمام الخامس، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتعتبره الإسماعيلية الخامس بينما تعتبره الشيعة الإثنا عشرية السادس، بإضافة الحسن بن علي، ولا تعتبر الإسماعيلية الحسن إماما، وعند وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق الذي ثبتت إمامته بالنص الشرعي العلني، انقسمت الشيعة إلى فرقتين، حسب رأي عارف تامر[44]. ولكن الظاهر غير ذلك، إذ أن الشيعة متفقون على تسلسل الأئمة من علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم زين العابدين ثم محمد الباقر فجعفر الصادق، وهنا وقع الاختلاف في من يتولى الإمامة بعد جعفر الصادق: إسماعيل الابن الأكبر، أم موسى الكاظم. فانقسمت الشيعة إلى اثنا عشرية وإسماعيلية [45].

ولكن الإثنا عشرية تختلف عن الإسماعيلية في القول بأحقية إسماعيل بالإمامة بعد أبيه، فإنه في نظر الإثنا عشرية لم يكن الرجل الذي يصلح للإمامة، حيث كان مدمنا على شرب الخمر[46]، ولوعا بالنساء، وأنه كان من أصدقاء أبي الخطاب الأسدي الفاسق الملحد الذي ادّعى ألوهية جعفر الصادق، وأنه- أبو الخطاب- كان رسوله، مما جعل جعفر الصادق يتبرأ منه ولا يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين إسماعيل[47]. فحسب الإثنا عشرية أن هذا سبب كاف لانتقال الإمامة من نسل إسماعيل إلى نسل موسى الكاظم، وهو ما يعد خلافا للمعتقد الإمامي في نظر الإسماعيلية، الذي ينص على أن الإمامة تورث لأكبر الأبناء مهما كان أمره، ويجب أن يكون أكبر أبناء أبيه مهما كان الأمر[48]، حتى لو شرب الخمر فحسب رأيهم أن الإمام وأتباعه لا يخضعون للتكاليف الشرعية[49].

وفي سياق آخر يقول مصطفى غالب: "إن الحركة الإسماعيلية نشأت نشأتها الأولى سنة 128هـ/746م، كحركة دينية علمية فلسفية تأويلية باطنية في العراق وفي الكوفة بالذات، خطط لها ونظمها الإمام جعفر الصادق عميد المدارس الفكرية في الإسلام "[50].

وهذا افتراء نسب إلى جعفر الصادق، إذ تعتبر الإسماعيلية فرقة باطنية متطرفة ومغالية، والمعروف عن جعفر الصادق أنه قاوم الغلاة والرافضة[51]، إذ يقول الشهرستاني عن موقف جعفر الصادق إمام الخطابية: "فلما وقف الصادق على غلوه [أي أبي الخطاب]الباطل في حقه، تبرأ منه ولعنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه، وشدّد القول في ذلك، وبالغ في التبري منه، واللعن عليه"[52].

وقد بلغ جعفر الصادق منزلة رفيعة في العلم، واشتهر بالفضل والصدق[53]، فكيف ينسب إليه التنظيم والتخطيط لحركة من حركات الغلو؟، إذ يقول "ابن تيمية" مبرئا جعفر الصادق: "أما الكذب والأسرار التي يدعونها عن جعفر الصادق فمن أكبر الأشياء كذبا حتى يقال: ما كذب على أحد ما كذب على جعفر رضي الله عنه"[54]. فلو كان فعلا ينسب إليه تأسيس الإسماعيلية لسميت الجعفرية، فالفرق تأخذ تسميتها من مؤسسها، حيث يقول سليمان السلومي: "إن تسمية الفرق غالبا ما تشتق من أسماء أصحابها وزعمائها، فالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق"[55].

فالإسماعيلية اتفقوا على أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه الأكبر إسماعيل لأن: "الإمامة لدى الشيعة الإسماعيلية لا تنتقل من أخ لأخ بعد الحسن والحسين عليهما السلام، ولا تكون إلا في الأعقاب [الابن الكبر]، فلم يكن لأخوي إسماعيل عبد الله وموسى حق في الإمامة، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع علي بن الحسين "حسب ما رواه النوبختي[56]، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه، ويعود ذلك إلى غموض الدعوة وباطنيتها، إذ ينقل لنا "مصطفى غالب" قول علماء الإسماعيلية في سبب هذا الغموض فيقول: "إن لنا كتبا لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا، ولا يعلمها الناس إلا من قبلنا، ولا يتعلم فك رموزها ومدلول إشاراتها إلا من علمناه، ولا يعرف صور حروفها إلا من عرفناه"[57].

فتضاربت الآراء التأريخية في حال إمامة إسماعيل، وظهرت عدة روايات في هذا الشأن بين من يقول أن إسماعيل توفي في حياة أبيه، وترجع الإمامة إلى ابنه محمد، ومن يقول إن جعفر الصادق أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، وأنه قد ظهر بالبصرة بعد ذلك. أما من أقر

بموته فقالوا: "إنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة، كما نص موسى على هارون، ثم مات هارون في حياة أخيه، فانتقلت الوصاية بعد موت موسى إلى أولاد هارون عليهم السلام فنص عليه [ابنه إسماعيل] لكي تكون لأولاده، فالنص لا يرجع قهقري والقول بالبداء محال"[58]. على أن أكثر مؤرخي الإسماعيلية يقولون أن قصة وفاة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه إنما كانت قصة أراد بها جعفر الصادق التمويه، حيث جاء في زهر المعاني على لسان الداعي الإدريسي، ونقله النشار: "غيب شخصه في حياة أبيه سرا من أعداءه ومحنة لأوليائه"[59] إذ خاف جعفر الصادق على ابنه إسماعيل من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (137هـ-158هـ) الذي كان يطارد أئمة الشيعة، فادعى موته، وأتى بشهود كتبوا محضرا بوفاته وأرسل ذلك المحضر إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سرورا وارتياحا لوفاة إسماعيل، الذي كان عائدا إليه أمر إمامة الشيعة[60]، ودليلهم على أنه أراد التمويه هو أن إسماعيل رئي في سوق البصرة[61] بعد وفاة أبيه بخمسة أعوام[62].

والأرجح أن إسماعيل توفي في حياة أبيه، حسبما جاء في كتاب عمدة الطالب في أنساب أبي طالب أن: "إسماعيل بن جعفر الصادق توفي في حياة أبيه بالعريض، وأنه دفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين ومائة "[63]. وربما توفي قبله بخمس سنوات[64].

كما يذهب بندلي الجوزي إلى أن إسماعيل توفي سنة 145هـ/763م[65]، أي قبل وفاة أبيه ودفن في المدينة. ويذكر ابن خلدون أن إسماعيل توفي في حياة أبيه، وهذا ما أدى إلى تضارب الآراء فيما يتعلق بطبيعة الإمامة[66].

فرغم اختلاف تاريخ وفاة إسماعيل إلا أن المتفق عليه هو وفاته قبل أبيه. ويؤكد لنا هذا الرأي أبو الحسن الأربلي الذي يقول: "مات في حياة أبيه [أي إسماعيل بن جعفر] بالعريض، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع، وروي أن أبا عبد الله جزع عليه جزعا شديدا، وحزن عليه حزنا عظيما، وتقدم سريره بدون حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مرارا كثيرة، وكان يكشف عن وجهه، وينظر إليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافة له من بعده وإزالة الشبهة عنهم في حياته"[67].

ولكن رغم ما قام به جعفر الصادق لإثبات وفاة ابنه إسماعيل إلا أن فرقة كبيرة من الشيعة الإسماعيلية ترفض فكرة وفاته في حياة أبيه، وذهب البعض الأخر إلى المغالاة في الأمر.

وقد دخلت الدعوة الإسماعيلية في مرحلة السر، حيث استتر أئمة الإسماعيلية لفترة تناهز قرنا ونصف من الزمان، والسبب في ذلك راجع إلى تخوفهم من الخلافة العباسية، وقد بدأت مرحلة السر منذ وفاة جعفر الصادق سنة 148هـ/766م، وانتهى بظهور عبيد الله المهدي بالمغرب[68]. وقد صاحب فترة الستر تلك، نشاط بعض دعاة الإسماعيلية في عدة مناطق كاليمن، حيث نشط فيها الداعي الحسين بن حوشب حوالي سنة 266هـ/880م، والذي نجح في الدعوة إلى الإمام الاسماعيلي المستور، وفي نفس الفترة تقريبا قامت حركة إسماعيلية أخرى في الكوفة والبحرين عرفت في التاريخ بحركة القرامطة[69]، وامتد نشاط هذه الحركة إلى بادية الشام. وحركة القرامطة هذه شغلت الخلافة العباسية عدة سنوات[70].

لكن سرعان ما خرج القرامطة عن الخلافة الفاطمية، ذات المذهب الإسماعيلي، التي ظهرت بالمغرب على يد عبيد الله المهدي حيث اكتشف القرامطة أن الإمام الذي شرعوا في الدعوة له في بادئ الأمر، حل مكانه شخص آخر يحمل لقب الإمام، فنازع الشك جماعة القرامطة في الإمام ودعوته، "فالقرامطة كانوا دعاة للإسماعيلية، ثم انحرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة في سلميّة لم تعد لأولاد محمد بن إسماعيل وإنما لأولاد عبد الله بن ميمون القداح"[71]، فكان ذلك سببا في خروجهم عليه وانسلاخهم من دعوته[72]. وشرعوا في الدعوة إلى إمامهم المهدي: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الذي يزعمون أنه الإمام الغائب. وهذا هو الذي ميز هذه الجماعة داخل الإطار الاسماعيلي الباطني العام، كما كان هذا هو سبب الخلاف فيما بعد بينهم وبين دعاة الفاطميين وأئمتهم[73].

جدول أسماء الأئمة عند الشيعة الاثناعشرية والإسماعيلية[74].

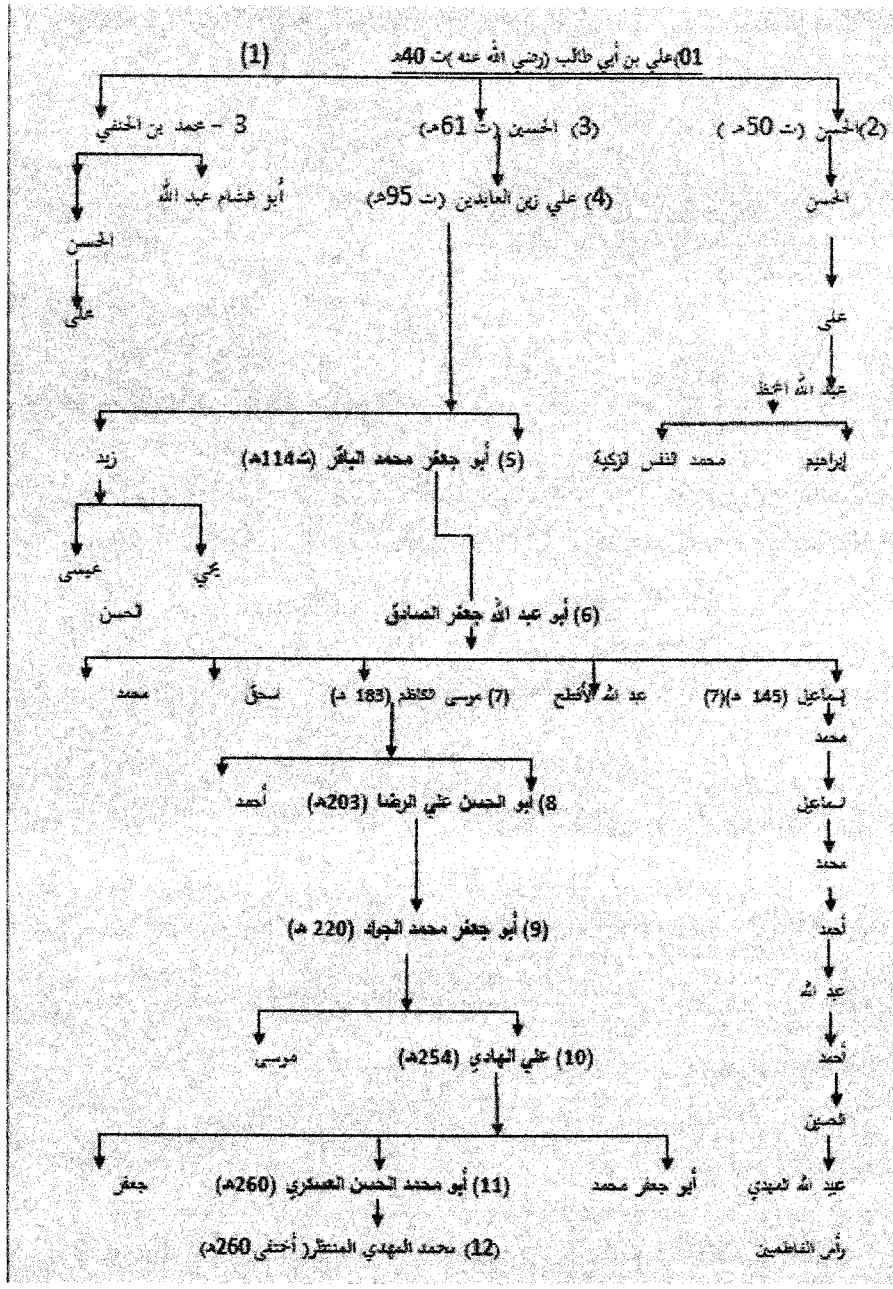

ثانيا: قيام الخلافة الفاطمية:

1- المد الشيعي الاسماعيلي في بلاد المغرب (الدور النظري): تولاها أبو سفيان الحسن بن القاسم وعبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني[75] بعثت بهما القيادة في المشرق إلى شمال افريقية سنة 145هـ، وقالت لهما: "اذهبا إلى بلاد المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها واكرباها وذللاها إلى أن يأتي صاحب البذر؛ فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها". كما أمرتهما بما يلي:[76]

- بسط ظاهر علم الأئمة ونشر فضلهم.
- تجاوز افريقية إلى حدود البربر.
- أن لا يعملا في منطقة واحدة.

2- الدور العملي وظهور المهدي المنتظر: تعتبر الخلافة الفاطمية امتداد للحركة الإسماعيلية في المشرق، والتي تعتبر حركة القرامطة فرعا منها، لكن العلاقة بين القرامطة والإسماعيلية في سلمية تحولت من علاقة ودية تنظيمية إلى المواجهة المسلحة، حيث هاجم القرامطة مدينة سلمية مركز الدعوة الإسماعيلية، وهذا بعد النزاع الذي حدث بين حمدان قرمط وجهاز الأئمة في سلمية حول مسألة الإمامة، فقد كان حمدان وعبدان قد تلقيا تعاليم بأن محمد بن إسماعيل كان لا يزال حيا وأن عودته في صورة المهدي باتت وشيكة، وادعى في تلك الأثناء عبيد الله الإمامة لنفسه وأنكر عودة محمد بن إسماعيل؛ فغضب عبدان وحمدان لذلك وأوقفا الدعوة له[77]، وعليه انفصل القرامطة عن الحركة الإسماعيلية الأم، فاضطر عبيد الله المهدي عندما جاءته الأنباء بمؤامرة القرامطة ضده، وعزمهم على قتله هو وأفراد أسرته إلى الهرب من سلمية[78].

لكن أين يذهب؟ إلى اليمن أم إلى المغرب؟ فكلا المنطقتين انتشر فيهما المذهب الإسماعيلي، لكن الظروف كانت ممهدة للمهدي في اليمن أكثر مما كانت عليه في بلاد المغرب، لكن طموحه الكبير وأمله في النجاح دفعه إلى اختيار المغرب دارا لهجرته رغم الأخطار التي يمكن أن تواجهه[79].

وقد كانت بلاد المغرب مهيأة من طرف الداعي رستم بن حوشب[80]، الذي أوفد أبو عبد الله الشيعي[81]، إلى المغرب وقال له: "إن أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لك غيرها فبادرها فإنها موطأة ممهدة لك"[82]، فقصد أبو عبد الله بلدة كتامة سنة 288هـ/901م[83]، بعدما اتصل ببعض زعمائها في موسم الحج ونزل في ايكجان بلد بني سكتان، فأقبل عليه الناس من كل مكان[84]. وأعاد تنظيم جهاز الدعوة وأعد الدعاة الجدد عقائديا

وعسكريا، وشرع في التعليم الذي اقتصر في بداية الأمر على أبناء شيوخ القبائل، وقد طرحت أفكاره بشكل بسيط تعلقت بحق آل البيت في الإمامة، ثم بفكرة المهدي وقرب ظهوره وشروط طاعته المطلقة. وقد تمكن من تشكيل مجتمع هدد النظام السياسي في العالم الإسلامي آنذاك.

تمكن أبو عبد الله الشيعي من ضم البربر إلى صفوف دعوته بفضل براعته في الكلام وقدرته على الإقناع، فنجح إمام العصر الشيعي في الرحيل إلى المغرب بعد أن وردته أخبار نجاح الداعية الشيعي في تهيئة الأوضاع، وقد انتقل المهدي في جو مهيب من العظمة والإجلال والكرامة.

وكيفما كان الأمر فقد انتهى المطاف بالإمام المهدي إلى الاستقرار في سجلماسة، عاصمة الدولة المدرارية بعد أن تتبعته عيون الخلافة العباسية، لكن ما لبث أن القي القبض عليه، وأودع السجن هو و ولده[85].

وعندما نجح أبو عبد الله الشيعي في القضاء على دولة الأغالبة سنة 296هـ توجه إلى سجلماسة لتخليص إمامه من سجنه، وانتهى الأمر بإعلان الخلافة الفاطمية بالقيروان في ربيع الثاني 297هـ/910م[86]، على رأسها عبيد الله، الذي تلقب بالمهدي أمير المؤمنين[87].

دامت الخلافة الفاطمية فترة زمنية امتدت من سنة 296هـ/909م إلى 567هـ/1172م، وخلال هذه الفترة مرت بمرحلتين:

- المرحلة الإفريقية: تفرغت الخلافة في هذه المرحلة لتثبيت دعائم الحكم بالمغرب، والقضاء على العناصر المناهضة لها من المالكيين والأمويين والخوارج[88] الذين ثاروا عليها، وأهم تلك الثورات ثورة أبي يزيد[89]. وهو إطار دراستنا هذه.

- وتبدأ المرحلة الثانية منذ الرحيل إلى مصر سنة 362 هـ/567هـ حيث تولى الحكم فيها عشرة خلفاء، وتم بناء القاهرة والجامع الأزهر[90]، وانتقل المعز إليها، وقد استخلف على المغرب بلكين بن زيري الصنهاجي، حتى انفصل عنه تماما[91].

ثالثا: سياسة الفاطميين في بلاد المغرب: رغم التناقض الملاحظ بين الروايات السنية والشيعية حول ما أحدثه العبيديون بإفريقية، فمما لا شك فيه في أن العبيديين حاولوا نشر مذهبهم الإسماعيلي على الأقل بين عموم سكان إفريقية، وبذلوا جهودا معتبرة في سبيل تحقيق ذلك يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- العنف والشدة ومن ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن رجلا يدعى "الشريف" ومعه مجموعة من الدعاة جلسوا عقب صلاة الجمعة، وأرغموا الناس على الحضور إليهم، ودعوهم إلى

مذهبهم بالعنف والشدة، فرفض جلهم الدخول في دعوتهم إلا بعض الناس- وهم قليل- فقتلوا الكثير ممن لم يوافقهم على قولهم[92].

- الحوار ويتجلى ذلك خاصة في المناظرات التي كانت تعقد بين علماء أهل السنة ودعاة العبيديين.

وقد ارتكب الفاطميون جرائم بشعة في حق أهل القيروان والمغرب عامة، واشتد سخطهم وغضبهم على العلماء خاصة، ولقد لخص تلك السياسة على محمد الصلابي في كتابه الدولة الفاطمية[93] في النقاط التالية:

- اضطهاد وقتل أهل السنة في القيروان، مثل ما فعل عبيد الله مع الشيخين ابن هذيل وابن البردون، حيث أمر أحد خدمه فقال لهما: "أتشهدان أن هذا رسول الله؟ فقالا بلفظ واحد: والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان أنه لرسول الله ما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما".

-كما أن أتباعهم عرفوا بكفرهم حتى ألهوا عبيد الله فقد كانت إيمانهم المغلظة "وحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة".

- مدح شعراء الدولة العبيدية خلفائهم لدرجة الكفر، وقد ظهر ذلك في شعر ابن هانئ الأندلسي في مدحه للمعز. وقد كان أحد شعرائهم قد مدح عبيد الله فقال:

حــلّ برقــادة المسيح حــلّ بهــا آدم ونوح

حــلّ بها الله ذو المعالي فكل شيء سواه رايح

- شنّ العبيديون حربا نفسية على أهل السنة، وذلك بتعليق رؤوس الكباش والحمير على أبواب الحوانيت، وكتبوا عليها أسماء الصحابة رضي الله عنهم، وأظهروا سبّهم وزعموا أنهم ارتدّوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن كل من يذكر الصحابة بخير يقتل أو يسجن.

- عمل العبيديون على إزالة آثار بعض من تقدمهم من الخلفاء السنيين، ولذلك أصدر عبيد الله أمرا بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد وجعل اسمه بدلا منهم.

- حرصوا على منع التجمعات خوفا من الثورة والخروج عليهم، ولذلك جعلوا بوقا يضربونه في أول الليل فمن وجد بعد ذلك ضرب عنقه، كما أنهم كانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء.

– اتلفوا مصنفات أهل السنة، ومنعوا الناس من تداولها، كما فعلوا بكتب أبي محمد بن أبي هاشم التجيبي (ت346هـ) الذي توفي وترك سبعة قناطير كتب، كلها بخط يده، فرفعت إلى سلطان بني عبيد؛ فأخذها ومنع الناس منها كيدا للإسلام وبغضا فيه.

– حرموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن والقتل، وينكل بصاحبها جزاء وعبرة في الأسواق.

– منعوا علماء أهل السنة من التدريس في المساجد، ونشر العلم والاجتماع بالطلاب، فكانت كتب السنة لا تقرا إلا في البيوت خوفا منهم.

– أجبروا الناس على الدخول في مذهبهم؛ فمن أجاب تركوه وربما ولوه بعض المناصب، ومن رفض سجنوه وقتلوه، قال القابسي: "إن الذين ماتوا في دار البحر– سجن العبيديين– بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح".

– عطلوا الشرائع واسقطوا الفرائض على من تبعهم.

– زادوا في الآذان عبارة حي على خير العمل، ونزعوا من صلاة الفجر الصلاة خير من النوم. ومنعوا الناس من قيام رمضان، ومنعوا صلاة الضحى، وقدموا صلاة الظهر لفتنة الناس، أما في الجمعة فقد اظهروا فيها سب الصحابة وضروبا من الكفر فتركها الناس.

خامسا: ردّ فعل البربر اتجاه سياسة الفاطميين: إن المتتبع للأطوار التي مرت بها الدعوة للمذهب الشيعي الاسماعيلي في المغرب منذ أن استقر الأمر به بقيام الدولة الفاطمية سيلحظ حتما ذلك الصراع العنيف الذي وقع بين غالبية السكان وهم مالكي المذهب على رأسهم الفقهاء والعلماء من جهة والشيعة الاسماعيلة من جهة أخرى، وسيلحظ كذلك أن ذلك الصراع قد اكتسى أشكالا شتى من المواقف سواء أكانت مقاومة سلبية أو ايجابية أو حتى مسلحة، بالإضافة إلى الجدل العلمي الذي تمثل في شيوع المناظرات العلمية وكثرة المؤلفات بين الفريقين.

1- موقف المواجهة المباشرة المتشددة: وفي هذا الصدد حمل الفقيه جبلة بن حمود الصدفي (ت297هـ) عبء تلك المواجهة فقد ارتفع صوته مستنكرا مبادئهم معلنا كفرهم. كما تنسب إليه مبادرة قطع أداء صلاة الجمعة في مسجد القيروان وغيره من المساجد، وذلك عندما تبين له ما يتم فيها من قبل مؤذني وخطباء العبيديين، ويعلق المالكي على تصرف جبلة ذلك بقوله:

"فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم، وهو أول من نبه على ذلك". ورغم مواقفه المواجهة للعبيديين إلا أنهم لم يستطيعوا فعل أي شيء اتجاهه[94].

وممن وقف من الشيعة ومذهبهم موقفا متشددا مدافعا عن الشريعة الصحيحة عدد من فقهاء البلاد الذين عاصرو عنفوان المد الشيعي، فكان أن تصدوا لذلك، وقد واجهت الدولة العبيدية موقفهم العدائي ذلك بقسوة بالغة فحكمت على عدد منهم بالقتل، وضربت بعضا آخر ونكلت به وسجنت فريقا ثالثا، ثم ما لبثت أن أجبرتهم على ترك الفتوى بمذهب مالك وبالتعهد بعدم إلقاء الدروس.

ومن أهم أسماء أولئك الفقهاء أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البردون والفقيه أبو بكر بن هذيل. والفقيه محمد بن إبراهيم المعروف بالسنجري وحسن بن مفرج حيث ضرب هذين الأخيرين بالسياط، ثم قتلا بالرماح عام 299هـ لأنهما كانا يفضلان بعض الصحابة على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[95].

على أن بعض فقهاء البلاد فضل اللجوء إلى المداراة والتقية لمواجهة الشيعة منهم أبو محمد يونس بن محمد الورداني ت 299هـ حيث فضل الاستتار تحت مهنة رعي البقر على أن يسلم للشيعة بمطالبهم. ومنهم كذلك الفقيه أبو بكر القمودي الذي فضل مدارة الشيعة حين لمس غضبهم الشديد منه وتهديدهم إياه نظرا لمواقفه التي كان قد وقفها من قبل من المذهب والدولة.[96]

2- المواجهة المسلحة: ومن أوجه مقاومة الفقهاء للمد الشيعي بالمغرب الإسلامي نجد المقاومة المسلحة التي تجسدت في الانضمام إلى صفوف الثائر الخارجي أبي يزيد مخلد بن كيداد، ويعتبر هذا الانضمام من أخطر مواقف أهل المغرب ضد الخلافة العبيدية حيث عكس بصدق نظرة علماء وفقهاء المالكية للمذهب الشيعي، وأتاحت لهم السبيل للمواجه المسلحة. على أنه في عهد الخليفة المهدي شهدت الخلافة عام 316هـ بداية تمرد خارجي إباضي ما لبث ان تحول إلى ثورة عارمة قادها رجل بربري إباضي المذهب من الفرقة النكارية التي انفصلت عن الإباضية[97] في المغرب.

عرفت هذه الثورة تاريخيا بثورة صاحب الحمار، وأيا كانت أسباب الثورة وتمرد أبي يزيد على العبيديين فإن الدافع الرئيسي المعلن هو استنكار مبادئ الشيعة الإسماعيلية وتطبيقاتهم العملية له، وزادت ثورته اشتعالا في عهد الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله، وبدا كما لو

أن الخلافة الفاطمية تهوي بين يديه، غير أن ثورته تلك ما لبثت أن قضى عليها الخليفة الفاطمي الثالث إسماعيل المنصور عام 337هـ بعد أن افلح في القبض على أبي يزيد الذي مات بعد ذلك بقليل متأثرا بجراحه.

ولعل الأمر الذي يعنينا من تلك الثورة هو ما وقع إبانها من تحالف بين السنة وعلى رأسهم فقهاء المالكية وبين أبي يزيد للقضاء على المذهب الشيعي والدولة الفاطمية، وقد وقع ذلك التحالف عام 333هـ عندما عول أبو يزيد الاستيلاء على القيروان توطئة للقضاء المبرم على العبيديين في المهدية.

ولقد نظر فقهاء المالكية إلى انضمامهم لأبي يزيد من جهة ومحاربة الدولة الفاطمية من جهة أخرى بنظرة دينية، ذلك أنهم رأوا أن الخروج مع أبي يزيد متعين لكفر بني عبيد. ولإن أبا يزيد الخارجي الإباضي من أهل القبلة كما يرون، ولذلك وجب الخروج على أولئك الذين لا يمكن اعتبارهم من أهل القبلة. ومع ذلك فإن فقهاء المالكية كانوا لا يرون الدخول في طاعة أبي يزيد مخلد بن كيداد لو قدر له الانتصار على الشيعة فلعل الله يسلط عليه إماما عادلا يخرجه عنهم.[98]

3- الجدل العلمي: احتل الجانب العلمي مكانة مهمة في هذا الصراع كونه أثر بشكل مباشر على الحياة الفكرية في المغرب في تلك الفترة، والذي مر عبر ثلاث قنوات وهي: حلقات العلم والمعرفة والدرس، والمؤلفات والمصنفات العلمية، والمناظرات أو المجالس العلمية.

أ- حلقات العلم والدرس: رغم الرقابة الشديدة التي فرضها العبيديون على مخالفيهم ومحاولتهم الحد من أنشطتهم العلمية، فقد واصل فقهاء المالكية نشاطهم العلمي حتى في أحلك الظروف. ومن ذلك أن أبا العرب أسمع الناس خلال حصار أبي يزيد للمهدية كتاب الإمامة لمحمد بن سحنون وهو كتاب على قدر كبير من الأهمية حتى أن عيسى بن مسكين قال عنه: "لم يؤلف في هذا الفن مثله، كما ذكر ابن الفرضي عن سعيد بن فحلون البجاني قوله: "أدركت بجامع القيروان ستة عشر رجلا كلهم يقول، حدثني سحنون بن سعيد"، ومن بين الذين كانوا يجتمعون لبث العلم ومذاكرته أبو بكر بن اللباد وأبو حمد بن أبي يزيد القيرواني وأبو محمد التبان، وربيع القطان، وأبو القاسم بن شبلون وأحمد بن نصر وأبو الحسن القابسي، وسعيد بن إبراهيم وأبو إسحاق الجبنياني وغيرهم.

غير ان نشاط فقهاء المالكية العلمي في هذه الفترة غلب عليه الطابع السري حيث كانوا يجتمعون خفية وبعيدا عن أنظار العبيديين؛ فقد ذكر المالكي أن أبا بكر بن اللباد كان يأتي إليه بعض الفقهاء كأبي محمد بن أبي زيد وأبي محمد بن التبان خفية، وكانوا أحيانا ربما جعلوا الكتب في أواسطهم حتى تتبلل بعرقهم خوفا على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه، وكان ذلك سببا رئيسيا في لجوء العديد من فقهاء المالكية إلى اتخاذ بيوتهم أماكن لنشر العلم ومنهم: أبو إسحاق السبائي وأبو سعيد بن أخي هشام الربعي وابن أبي زيد القيرواني وأبو الحسن القابسي، كما اتخذ أحدهم وهو ربيع القطان حانوته الذي كان يبيع فيه القطن مكانا لنشر العلم[99].

وفي المقابل حشد الفاطميون جهودهم في سبيل نشر مبادئ مذهبهم على نطاق واسع بين السكان عن طريق حلقات الدرس في المساجد وقصور الخلفاء، وقد انتهجوا في ذلك أسلوبا جديدا في الدعوة يقوم على تشكيك الفرد، ثم التسلط عليه بالحجج العقلية تمهيدا للوصول إلى موافقتهم على مبادئ مذهبهم، وجاء ذلك الأسلوب نتيجة التقاء الفكر العربي بالفكر الفارسي والعقلية الإفريقية مما أدى إلى تمخض أسلوب معين يمكن تسميته بالطابع الفاطمي، وقد اعتمدوا على التأويل الباطن في مناظراتهم فالمذهب الاسماعيلي مذهب سري باطني يقوم على القول بالباطن والعمل بالتقية. والمطلع على أساليب الإسماعيلية وطرقهم الماكرة في الدعوة التي كانوا يستعملونها إما لاستمالة الناس إلى مذهبهم، وإما للتسلط على إرادتهم وإبقائهم تحت طاعتهم التامة، ليعجب من مكر هؤلاء الناس وطرق التحايل المستعملة عندهم، لهذا فقد اعتمدوا على دعاة مراوغين لتحقيق نجاح حركتهم في دور الستر والتخفي ودور الظهور والإعلان أيضا[100].

ب- التأليف: من أهم المؤلفات كتاب أبي جعفر محمد بن خيرون المعافري بعنوان نسب الشيعة، لكن مؤلفه قتل سنة 301هـ. كذلك ما فعله أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري القلانسي ت 361هـ، الذي ألف كتاب الإمامة والرد على الرافضة من وجهة نظر سنية طبعا مما أدى بالخليفة القائم بأمر الله إلى ضربه وسجنه والتنكيل به. أما الفقيه المالكي سعيد بن حداد ت 302هـ فقد كتب كتابا يرد فيه على عبيد الله المهدي عنوانه المقالات. وكتاب تجديد الإيمان من شرائع الإسلام للفقيه أحمد بن عبد الرحمن القصري ت 322هـ.كما وضع ابن اللباد كتاب إثبات الحجة في إثبات العصمة، ويبدو أنه تم تأليفه في سياق الرد على الاسماعيليين

القائلين بعصمة الأئمة. وعلى أية حال فإن الشيء المؤكد أن هذه المؤلفات لها الأثر الكبير في تثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس الناس من منظور سني.

أما مؤلفات الشيعة فنذكر منها: كتب القاضي النعمان: دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام، وهذا كتاب يخدم صراحة المذهب الشيعي، وكتاب الطهارة وكتاب كيفية الصلاة وكتاب الاقتصار ويشمل مسائل فقهية مستمدة من أئمة أهل البيت، كما نشط الأئمة كذلك في التأليف مثل الخليفة الثالث المنصور وكتابه بعنوان: تثبيت الإمامة لمولانا على بن أبي طالب، والخليفة المعز لدين الله: كتاب الروضة والمناجاة وهي كتب فقهية. وعلى كل حال فقد أسهمت هذه المؤلفات في إثراء الدراسات الشرعية السنية عن الشيعة ولو بطريق غير مباشر[101].

ج- المناظرات العلمية: حيث كان العبيديون يستدعون أحيانا بعض علماء أهل السنة لمناظرتهم حول بعض القضايا، وقد أبدى فقهاء المالكية خلالها قدرة فائقة على الجدل والمناظرة، وكانت تدور حول بعض المسائل الخلافية بين أهل السنة والإسماعيلية، كمشروعية القياس والقيام في رمضان، وأيضا فضائل الصحابة وأولاهم بالإمامة، ومن بين أشهر فقهاء المالكية في هذا المجال أبو إسحاق محمد بن التبان[102].

والظاهران معظم تلك المناظرات كانت في عهد الخليفة الأول المهدي، ولا غرابة في ذلك لأنهم اتخذوا كل الوسائل لنشر وتثبيت مذهبهم المزعوم، وأول ما يصادفنا من تلك المناظرات العلمية: مناظرة أبي العباس الشيعي للفقيه المالكي ابن البردون ت 297هـ في مسألة التفضيل، تفضيل علي عن بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

أما المناظرات العلمية الدامغة التي لقيت شهرة عريضة آنذاك فهي التي تصدى لها الفقيه المالكي الأشهر سعيد بن حداد ت 302هـ، وكان أبو العباس أحد الأطراف الرئيسية. وتلك المناظرات تفاوتت عددا وموعدا ومضمونا، وهي التي وفرت لسعيد بن حداد سمعة وصيتا عريضا بفضل شجاعته في التصدي للمد الشيعي الخطير وقدرته العلمية الفائقة في فهم الشريعة الإسلامية وتمكنه من قواعد الجدل والمناظرة[103].

وفي الأخير لا يسعنا القول إلا أن النشاط الشيعي في بلاد المغرب أعطى دفعة قوية للحركة الفكرية آنذاك من خلال نشاط العلماء والفقهاء في مواجهة المد الشيعي بشتى الوسائل، فلم تمنعهم سياسة العبيديين الجائرة من عقد حلقات العلم، ولو كان ذلك بشكل

سري، كما اتخذوا طابع المقاومة المسلحة كرد فعل بانضمامهم إلى صفوف الثائر الخارجي أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار.

ولم تتوقف المواجهة عند هذا الحد، وإنما اتخذت من التأليف والمناظرات وسيلة أخرى لوضع حد للمد الشيعي في بلاد المغرب، ولم تذهب جهود العلماء والفقهاء سدى، وإنما أعطت نتائجها بعد فترة إذ بحفاظهم على المذهب السني مذهبا رسميا للشعب دون الدولة يسر عملية الانقلاب على العبيديين بعد انتقالهم إلى مصر حيث بادر حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية بقطع الدعوة للعبيديين وإعلان الولاء للخلافة العباسية السنية حوالي سنة 405هـ، وبهذا كان انفصال المغرب الأوسط عن الدولة العبيدية الشيعية.

ولم يكن من المغرب الأدنى إلا أن انفصل عنهم كذلك في عهد المعز بن باديس حوالي سنة 441هـ، وهكذا عاد المغرب الإسلامي إلى حظيرة أهل السنة، وتخلص من بطش الشيعة العبيديين. لكن ما موقف العبيديين في مصر من هذا الانفصال؟ وكيف كان رد فعلهم إزاء سياسة الصنهاجيين، خلفائهم على بلاد المغرب ؟ هذا ما سنحاول تناوله بالدراسة والتحليل في مقالنا اللاحق إن شاء الله.

الهوامش:

1- القرآن الكريم،سورة الروم :الآية .32

2- أبو داود السجستاني، سنن أبي داود،(تذييل :الألباني)،دار الفكر، باب السنة. حديث: 4596. وورد الحديث في مسند الإمام أحمد، بإسناد حسن رقم :8377.وفي رواية الترمذي رقم: 2640،بإسناد حسن صحيح.

3- الشهرستاني، المصدر السابق،ص 24.الاسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (تحقيق : محمد زاهد الكوثري)،مكتبة الخانجي، مصر،1955.ص30.

4- الشهرستاني، المصدر السابق، ص .24

5- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح،ط2، دار العلم للملايين، بيروت،1979، ص 1240.

6- الزبيدي محمد مرتضي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، دط، دار مكتبة الحياة،بيروت، دت، ص 503.

7- ابن منظور، لسان العرب، ج8، دط، دار صادر، بيروت، دت، ص189،188.

8- الشنقيطي محمد أمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دط، دار الفوائد للنشر والتوزيع،دت .

9-القصص : الآية 15.

10- مريم : الآية 69.

11- الحجر : الآية 10.

12- القمر : الآية 51.

13- سبأ : الآية 54.

14- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن ابي داود: (إعداد وتعليق :عزت عبيد الدعاس)، ج5، ط1، نشر وتوزيع محمد علي السيد،حمص،1969.ص 67 .

15- احمد بن حنبل : مسند الامام احمد، ج2، ط2، المكتب الإسلامي للطبع والنشر، بيروت، دت، ص 219.

16- أبو الحسن الاشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد علي بن اسماعيل، ج1، ط2، 1969، ص 65.

17- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق علي حسن فاعود، ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1993.ص 65.

18- .ابن خلدون، المقدمة،دار صادر، بيروت، 2007. ص 194.

19- معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن أمية، اسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنينا، ولي على الشام في عهد عمر بن الخطاب وخلافة عثمان كلها، بايعه أهل الشام بالخلافة بعد أن تنازل له الحسن عنها سنة 41هـ/ 662م،،وكانت خلافته 19 سنة و9 أشهر و29 يوما،توفي في النصف من رجب سنة 60هـ / 681م بدمشق .- انظر: ابن عبد البر الميري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ج3،ط1،دار احياء التراث العربي، بيروت، 1910م .ص 398. .والسيوطي، المصدر السابق، ص176.

20- حسن علي محمد، قاموس المذاهب والأديان،ط1،دار الجيل،بيروت، 1998.ص 130.

21- هوأبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط الرسول صلى الله عليه وسلم،ولد في نصف رمضان سنة 3هـ /625م روى عن النبي صلى الله عليه وسلم توفى بالمدينة ا سنة49هـ/670م ودفن بالبقيع .

-انظر محمد بن طولون، الأئمة الاثني عشر،(تحقيق :صلاح الدين النجد)،،دار صادر، بيروت،1958 .ص63.

22- أبو عبد الله محمد بن قتيبة، الإمامة والسياسة، (تحقيق :طه محمد الزيني)،ج1،دار المعرفة،بيروت، د.ت ط،ص140

23- هم السبئية أصحاب عبد الله بن وهب بن سبأ.(ت40ه)المعروف بابن السوداء السبئي، أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه،حتى قتل ثم أحدث القول بوصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعلي بالخلافة من بعده ثم غالى في الأمر

حيث قال بتاليه علي بن أبي طالب .قال عبد الله بن سبأ لعلي : أنت تعني أنت ألإله .ويقولون أن علي في السحاب والرعد صوته والبرق ابتسامته .وهم أول فرقة قالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه .انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص181. ومحمد الصديق خان، المرجع السابق، ص44.

24- نقصد حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي توفي سنة 67هـ/687م، ادعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان وأنه أمره أن يدعو الناس الى البيعة وزور على لسانه كتابا فدخل في طاعته جمع كبير فتقوى بهم تتبع قتلة الحسين فقتلهم،انظر :ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،ج3،ط1، دار إحياء التراث العربي،بيروت،1910.ص519.

25- فارس:ولاية واسعة وإقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران،انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج4،دار صادر، بيروت،1984،ص226.

26-أحمد أمين،ضحى الإسلام،ج3،ط1،دار الكتاب العربي،بيروت،دت،ص277.

27- حسن غريب، الردة في الإسلام،ط2،دار الكنوز الأدبية،لبنان،2000، ص180.

28- هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخ الحسن وهما سيدا شباب أهل الجنة،ولد لخمس من شعبان سنة 4هـ /626م و قتل يوم عاشوراء سنة61هـ / 626م بكربلاء أرض العراق،انظر: محمد بن طولون،المصدر السابق،ص71.

29- ابن قتيبة، المصدر السابق،ص04.

30-ابن عماد الحنبلي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، المكتب التجاري، بيروت،د .ت ط. ص 66.

31- ابن خلدون،كتاب العبر،المصدر السابق،ص694

32- حمد أبو زهرة،تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996. ص32.

33- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 281

34-أحمد أمين، المرجع السابق، ص 281.

35- محمد زعراط، الفرق الإسلامية الكبرى، دار الغرب، وهران،2004.ص25.

36- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص194.

37- حسن الأمين،دائرة المعارف الإسلامية الشيعية،ج1،ط6، دار التعارف للمطبوعات، بيروت،1997.ص09.

38- محمد زعراط، المرجع السابق، ص26.

39- محسن الأمين،موسوعة أعيان الشيعة،ج1،دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د ت ط. ص 316.

40- جعفر الصادق هو: أبو عبد الله جعفر الصادق محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .ولد سنة 80 هـ/700م، يعتبر من عظماء آل البيت، عرف بالعلم والفضل، لقب بالصادق لصدقه في مقالته أخذ عنه جماعة من الأئمة مثل : يحيى بن سعيد الأنصاري، وأنس بن مالك، توفي في شوال سنة 145هـ/763م.انظر : محمد بن طولون، المصدر السابق، ص85.
وأنظر أيضا: أبو الحسن الاربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (تحقيق :السيد هاشم الرسولي)، ج2، المطبعة العلمية، قم، 1960.ص366.

وأيضا: ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ص220.

41- الشهرستاني، المصدر السابق، ص175

42- عارف تامر،تاريخ الإسماعيلية، ج1،ط1، رياض الرس للكتب والنشر، لندن،1991.ص149.

43- سميت الاثنا عشرية نسبة إلى تسلسل أئمتهم حتى الإمام الثاني عشر وهوالمهدي المنتظر وهم : علي بن أبي طالب (ت 40 هـ)، الحسن بن على (ت50هـ)، الحسين بن علي (61هـ)، علي زين العابدين (ت94ه)، محمد الباقر (ت113ه) جعفر الصادق (ت 148ه)، موسى الكاظم (ت 183ه)، علي الرضا (ت203 ه)، محمد الجواد (ت 219 ه)، علي المهدي (ت254

ه)، الحسن العسكري (ت 256 ه)، محمد المهدي اختفى 260 ه، وهوالمهدي المنتظر –حسب زعمهم –.انظر : بن طولون، المصدر السابق .

و:سعيد عبد الحكم زيد، الشيعة الامامية، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 2007.ص 65.

44- عارف تامر، الإمامة في الإسلام، ط1، دار الأضواء، لبنان، 1998.ص 102.

45- انظر جدول تسلسل الأئمة،ص33.

46- Luis Gardet ,Dieu et la Destinée de l'homme , Libraire philosophique, Paris,1967.p:469.

47 – محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959.ص13.

48- محمد سالم اقدير، العقائد الفلسفية المشتركة بين الفرق الباطنية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006.ص 40.

49- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.ص366.

50- مصطفى غالب،الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس،بيروت، د ت ط .ص71.

51- انظر: مناظرة الإمام جعفر الصادق مع الرافضي، وكيف أكد له أحقية الصحابة الخلافة ومكانتهم في الإسلام، وكيف أن الرافضي اضطر في الأخير إلي طلب التوبة والرجوع عن أقواله.

– مناظرة الإمام جعفر الصادق،(تحقيق : علي بن عبد العزيز)،ط1،دار الوطن، الرياض، 1996.

52- الشهرستاني، المصدر السابق، ص 186.

53 – خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 2، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2000 . ص126 .

أنظر أيضا: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (تحقيق : شعيب الارنؤوط)، ج6، ط10،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص 255، و:جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال،(تحقيق:بشار عواد معروف)،ج5،ط5،مؤسسة الرسالة،بيروت، 1994، ص 74-82.

54-ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية،(ترتيب : عبد الرحمن محمد بن قاسم)،ج4، مكتبة المعارف، المغرب، د ت ط، ص 78.

55- سليمان عبد الله السلومي،أصول الإسماعيلية،ج1، ط1،دار الفضيلة، السعودية، 2001. ص197.

56- النوبختي، فرق الشيعة، (تحقيق : عبد المنعم الحفني)،ط1،دار الرشاد، القاهرة،1992، ص79،78.

57- مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، المرجع السابق، ص 70.

58- الشهرستاني، المصدر السابق،ص 197.

59- النشار، المرجع السابق، ص 369.

60- محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص12.

61- البصرة:في العراق،والبصرة في كلام العرب الأرض الغليظة . بنيت في خلافة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث اختطها عتبة بن غزوان،وبنا مسجدها سنة سبع عشرة،وازدهرت على عهد العباسيين .

انظر : ياقوت الحموي،المرجع السابق، ص430 .

62- مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ط14،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000.ص234.

63- السيد أحمد بن علي الداودي الحسيني، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، (تحقيق : نزار رضا)، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط ت . ص190.

64- Luis Gardet ,Op.cit ; p:46.

65 – بندلي الجوزي،من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام،(تحقيق :محمود إسماعيل)، ط1،دار رؤية للنشر، القاهرة، 2006،ص161.

66- ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، ص 919.

67- الأربلي، المصدر السابق، ص392.

68- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص235.

69- يجمع ابن الجوزي في كتابه القرامطة مجموعة من الأقوال في أسباب تلك التسمية فيقول :"وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :احدها أنهم سموا بذلك لأن أول من أشير لهم ذلك المحبة محمد الوراق المقرمط وكان كوفيا، والثاني أن لهم رئيسا من السواد من الأنباط يلقب قرمطويه، فنسبوا إليه، والثالث أن قرمطا كان غلاما لإسماعيل بن جعفر الصادق فنسبوا إليه لأنه أحدث لهم مقالتهم، والرابع أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له"كرميته" فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث، ثم أدخله في مذهبه، والخامس أن بعض دعاتهم رجل يقال له :"كرميته " فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ثم خفف فقيل قرمط، أما اللقب السادس فهونسبة إلى الشخص الذي لجأ إليه الداعي وهو"كرميته " وكان أهل قريته يسمونه كذلك لحمرة عينيه وهوبالنبطية حار العينين، فسمي الداعي بالاسم الذي خفف فقيل " قرمط".ابن الجوزي، القرامطة، المصدر السابق، ص38.

70- محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص22، 23.

71- "فرق باطنية " مجلة الراصد،العدد 2004،12. ص01.

72- مصطفى الشكعة، المرجع السابق،ص 238.

73- أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ط2،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1988.ص 290.

74- ألبير نصري نادر، مدخل إلى الفرق الإسلامية السياسية والكلامية،ط3،دار المشرق، بيروت،1989.ص.25

75- تعتبر بلاد المغرب ميدانا واسعا للدعوة الشيعية الإسماعيلية منذ زمن مبكر، حيث حمل الدعوة إليها الداعيين أبو سفيان والحلواني، واستقرا بأرض كتامة.أنظر : المقريزي: اتعاظ الحنفا،المصدر السابق، ص141

76- سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين، ط2، دار النفائس، بيروت، 2008.ص 62-67.

77 - سهيل طقوش، المرجع السابق،ص93.

78- كامل حسين، المرجع السابق، ص29.

79- نفسه، ص30.

80- علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة،2006.ص11.

81- هوأبو عبد الله الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، ولد سنة 259هـ في سلمية، عرف بالمحتسب لتوليه الحسبة بالبصرة وغيرها في مدن العراق، عرف بالذكاء والدهاء، لذا تم اختياره من طرف الإسماعيلية لنشر دعوتهم بالمغرب.

أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص134. ومصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ط1،دار النهضة العربية، بيروت، 1964. ص21. والمقريزي، الخطط،المصدر السابق،ج2، ص29.

82- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، (تحقيق:فرحات الدشراوي) ط2،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985. ص27.

83- المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص29.

84- إدريس عماد الدين القرشي، كتاب عيون الأخبار، السبع الخامس وقسم من السبع السادس، بعنوان : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،(تحقيق: محمد اليعلاوي)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985. ص84، 88.

85- للتوسع اكثر في رحلة عبيد الله المهدي الى المغرب ينظر : ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص152-156.

86- المقريزي،الخطط، المصدر السابق،ج2،ص31، ويذكر القاضي النعمان أن الإعلان عن قيام الخلافة الفاطمية كان سنة 296هـ(القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص227).

87- المقريزي، الخطط،المصدر السابق، ج2،ص31.

88- محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية،ط1،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.ص98.

89- هوأبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي، أحد زعماء الخوارج الإباضية وأئمتهم، قام بثورته على الخلافة الفاطمية (331هـ – 336هـ) والتي عرفت بثورة صاحب الحمار، وقد كبد الخلافة خسائر فادحة، ولم تتمكن من القضاء عليها إلا بعد جهد كبير.

-أنظر: بشير غانيه، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على المغرب، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة الجزائر،2007-2008، ص21-26.

90- محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة،1999. ص65.

91- مرمول، المرجع السابق، ص98.

92- ابن الأثير المصدر السابق، ج 6، ص 461.

93- الصلابي، المرجع السابق، ص 40-46..

94-يوسف بن احمد حوالة، الحياة العلمية في افريقية : المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري،ط1، جامعة ام القرى، السعودية،ج2، ص 89.

95- نفسه، ص 90-91-

96-نفسه، ص 92،93.

97- الاباضية فرقة خارجية نسبة الى عبد الله بن اباض انتقل دعاتها الى بلاد المغرب مع مطلع القرن الثاني هجري ونجحتوا في تاسيس دولة عرفت بالدولة الرستمية بالمغرب الاوسط حوالي سنة 160هـ ذات مذهب اباضي ، لكن على اثر وفاة الامام الاول عبد الرحمن بن رستم سنة 170 هـ تعرضت صفوف الاباضية الى الانقسام كون ان الامامة رست للإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم، فانكر بعض الاباضية احقية عبد الوهاب في الامام، فظهرت فرقة النكارية، اما المؤيدين لامامة عبد الوهاب فسميو بالوهبية .

98- يوسف بن احمد حوالة، المرجع السابق، ص 95.

99- حفيظ كعوان، اثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بافريقية، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة باتنة، 2008،2009.ص 139، 140.

100- محمد احمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها،ط3، دار عالم الكتب، الرياض، 207.ص 118.

101- يوسف بن احمد حوالة، المرجع السابق، ص110- 115.

102- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 136.

103- يوسف احمد حوالة، لمرجع السابق، ص 122.